ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلة التاريخية الجزائرية

المجلد: 05، العدد: 01 (2021)، ص90-104

قيس بن عاصم التميمي: بيوغرافيا سيد قبيلة عربية في فترة الإسلام المبكّر

Qays Ibn Açim al-Tamimi: Biography of an Arab tribe chief in the period of early Islam

محمّد لطيّف

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (تونس)

mohamed.ltaief1991@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/10
تاريخ القبول:
2021/05/27

الكلمات المفتاحية:
- ✓ قيس بن عاصم
- ✓ تميم
- ✓ بنو سعد
- ✓ العراق
- ✓ البصرة

الملخص:

يعدّ قيس بن عاصم التميمي من أبرز زعماء قبيلة تميم العربية خلال فترة الجاهلية المتأخرة والإسلام المبكّر. وقد رأس قيس على عشيرته بني سعد التي تعتبر من أقوى العشائر التميمية وأبرزها في مرحلة مفصليّة وذلك نتيجة القطيعة مع الفرس ونهاية الوساطة التي كان يؤديها قومه في إجازة القوافل على غرار مجموعات قبلية عربية أخرى. كما عمّق فقدان بني سعد لمراعيهم في العراق من أزمتهم الاقتصادية ودفع زعيمهم قيسا إلى إيثار التحالف مع الدولة النبوية في المدينة. وقد تميّز هذا الزعيم القبلي بميله إلى الطّاعة إذ تمتع بمكانة هامة زمن النبي فضلا عن عدم انخراطه في الردة عكس بقية أشراف تميم. وقد انخرط مع قومه في عملية فتح العراق واستقرّ معهم في البصرة، لكنّ قيسا ظلّ مرتبطا بحياة البادية فكان يغادر البصرة ويستقر أحيانا في الديار القديمة لقومه وهو ما أدّى إلى تراجع دوره السياسي وتأثيره على مستوى عشيرته حتى وفاته في حدود سنة 20هجري خصوصا في ظلّ بروز جيل جديد من الأشراف الذين انتزعوا منه المكانة والنفوذ.

Article info

Received:
10/05/2021
Accepted:
27/05/2021

Key words:
- ✓ Qays Ibn Açim
- ✓ Tamim
- ✓ Banu Sa’d
- ✓ Basra
- ✓ Iraq

Abstract:

Qays Ibn Açim tamimi was one of the most important leaders of the tamim arabic tribe in pre and early Islam Era. He led his clan, bani saad, in a period of extreme complexity especially as a result of the rupture with the Persians and the end of intermediary role in authorizing commercial convoys. Added to that, the loss of the bani saad's grasslands in Iraq worsened their economical hard time. Consequently, their leader Qays chose to ally with the new Islamic state in Medina. This tribal leader had a tendency to be obedient; which ensured him a high status in the prophet reign time. Ibn Açim rejected the apostasy movement. On the contrary, he participated actively with his people in the conquest of Iraq. He, then, settled into the city of Basra. Yet, he was deeply related to his early Bedouin life that's why he would occasionally leave Basra for the old houses of his clan. Because of his absence, Kays lost his political significance and influence in his clan until his death in 20 A.H.

قيس بن عاصم التميمي: بيوغرافيا سيد قبيلة عربية في الإسلام المبكّر

مقدمة

مثّل التّحالف مع بعض سادة القبائل البدويّة عاملا من عوامل نجاح السّلطة الإسلاميّة النّاشئة في توحيد بلاد العرب وصمودها أثناء الرّدة قبل الشّروع في فتح المناطق المجاورة. ومن ثمّة فإنه من الهامّ البحث بشكل دقيق في الأدوار السياسيّة لسادة البدو خلال مرحلة الإسلام المبكّر حتى نتمكّن من تحديد مساهمة بعضهم في بناء المشروع الإسلاميّ تحديدا يتجاوز الصّورة النمطيّة الباهتة التي أرساها حولهم التّقليد التاريخيّ والأدبي. وقد اخترنا في هذا الصّدد دراسة شخصيّة قبليّة هامّة هي شخصيّة قيس بن عاصم التميمي الذي يعتبر من أبرز سادة البدو الذّين ربطتهم علاقة استثنائيّة بالإسلام دينا ودولة. فقد تمسك بالولاء لدولة النبي ثم لدولة الخلافة رغم أنه كان هو وقومه يقطنون في المنطقة الواقعة بين شرق الجزيرة العربية وتخوم العراق أي أنهم كانوا بعيدين عن مجال نفوذ المسلمين في البداية. ومن ثمّة فإن دوافع ولائه للمسلمين تختلف إلى حدّ بعيد عن قسم كبير من سادة البدو– الذين دخلوا في طاعة دولة المدينة بعد أن سيطرت على ديارهم ومجال انتجاع قبائلهم وبعد أن تبين عجزهم عن مقاومتها. لذلك، فإن تحديد طبيعة علاقة هذا الزّعيم القبلي بدولة الإسلام ومعرفة دوافع اصطفافه إلى جانبها يجب أن يأخذ بعين الاعتبار قضيّة الانتشار المجالي لعشيرته والتحولاّت التي طرأت عليها عشيّة ظهور الإسلام. يتّضح من خلال ما تقدّم بأنّ عملنا يهدف من خلال دراسة شخصيّة قيس بن عاصم إلى تحديد دوافع انخراط فئة من سادة البدو في المشروع الإسلاميّ ومدى مساهمتهم في نجاحه سياسيّا وعسكريّا وهي مساهمة حدّدتها التحوّلات العميقة التي عرفتها المجموعات العربيّة عشيّة ظهور الإسلام والتي لم تقتصر على عرب الجزيرة فحسب بل شملت القبائل المتوطنة في المناطق المجاورة التّي مثّلت امتداد لبلاد العرب التاريخيّة كالعراق أساسا. ولعلّ لهذا الطّرح أن يسمح بتجاوز النظريّة التقليديّة التي وضعت الظّاهرة العربيّة في إطار ضيّق يقتصر على الجزيرة العربيّة وفسّرت بناء على ذلك انخراط العرب في المشروع الإسلامي تفسيرا تبسيطيّا يعتبر أنه مجرّد خضوع لسلطة قويّة ومنّظمة نابعة من عالم المستقرّين في حين أن انبثاق سلطة الإسلام ودولته مرتبط أيضا بالظّاهرة العربيّة الدّولية التي وسّعت مدلول بلاد العرب وحدودها. **فمن هو قيس بن عاصم التميمي؟ وفي أيّ ظروف تولّى السيادة على قومه؟ وكيف تطورت علاقته بالإسلام خلال فترة النبي والخلفاء الراشدين؟ وماهي طبيعة دوره السياسي والاجتماعي خلال هذه الفترة؟**

1. نسب قيس وسيادته على عشيرته

جمعت شخصيّة قيس بين النسب الأثيل والانتماء إلى عشيرة تميّزت بانفتاحها على بلاد العرب وتخوم العراق في الآن نفسه. وقد أثر هذا الوسط الاجتماعيّ إلى حدّ بعيد على طبيعة علاقته بالإسلام دينا ودولة إذ هيّأه للخضوع للسلطة من ناحية واعتناقه الدّين الجديد من ناحية أخرى.

1.1. نسبه

يبرز تتبّع أصول قيس بن عاصم مدى رفعة نسبه فهو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم [1]. ومن ثمّة فإن نسبه يتصل بفرع قويّ من القبيلة

إذ يعتبر بنو زيد مناة إحدى أهم الفروع الثلاث لقبيلة تميم[2]. ولا يقلّ الانتماء العشائري والأسري لقيس رفعة عن انتمائه القبلي فهو من بني سعد أبرز عشائر زيد مناة بن تميم وأوفرها عددا[3]. وفضلا عن ذلك فقد كان البيت والعدد في قومه من بني فقيم بن منقر [4] مما أهّله لتولي السيادة وتزعّم كامل العشيرة. وتعتبر عشيرة بني سعد عشيرة قويّة نظرا لما تتمتّع به من وفرة عددية مقارنة ببقية عشائر تميم [5]. وكانت هذه العشيرة القويّة تنتجع في المنطقة القريبة من موضع البصرة اللاّحق وفق ما تشير إليه بعض الروايات[6]. ونظرا لاستقرارها في منطقة خصبة[7] وسيطرتها على المراعي، فقد انضمّت مجموعات عديدة إلى هذه العشيرة عبر موجات ممّا حوّلها إلى تجمّع عشائريّ ضخم وساهم في توسيع نفوذ سادتها الذّين ربطتهم علاقات قوية بالفرس وبوكلائهم المناذرة. فقد سعى الفرس إلى استمالتهم على غرار عدد كبير من سادة تميم للاعتماد عليهم في خفارة القوافل أحيانا أو في الحروب ضدّ المجموعات البدويّة الأخرى[8]. تولّى قيس بن عاصم السّيادة على هذه العشيرة القويّة في مرحلة حاسمة من تاريخها تميّزت بتحوّلات عميقة مسّت موطنها في العراق ودفعتها إلى التّوجه نحو منطقة جديدة.

2.1. سيادة قيس على قومه

ساد قيس بن عاصم قومه قبل بعثة النبيّ ﷺ فيما يبدو إذ تشير المصادر إلى توليه قيادة قومه في وقائع كثيرة كيوم جدود[9]ويوم النباج وثيتل[10] ويوم جؤاثى[11]ويوم الصفقة [12] ويوم الكلاب الثاني [13] وهي وقائع دارت عشيّة ظهور الإسلام. لا يمكن تحديد طبيعة السّيادة التي مارسها هذا الزّعيم على قومه. لكن المصادر تستعمل غالبا صيغة "**رئيس**" أو صيغة "**رأس على قومه**" [14] في إشارة إلى توليّه قيادة عشيرته والعشائر الحليفة لها أثناء الحروب ونفوذه على كامل هذه المجموعات وذلك لأن الزعامة الحربيّة كانت متماهية إلى حدّ بعيد مع السّيادة في مدلولها السّياسي بالنسبة إلى العرب القدامى[15]. ويبدو أن زعامة قيس امتدت على فروع عشائرية هامّة صلب تجمّع تميم إذ تشير المصادر إلى أنّه كان على رأس بطون مقاعس أثناء بعض الوقائع والأيّام التي ذكرناها سابقا [16]. وقد كانت لمقاعس "**بطون ضخمة**" كما يذكر صاحب الجمهرة [17] ممّا يوحي بوفرتهم العدديّة وبأنّهم كانوا يمثّلون نواة التّحالف العشائريّ التميميّ الذّي قاده قيس. ووفقا لبعض النّسابة المسلمين، تشمل مقاعس كلاّ من بني صريم وبني مرة وبني عطارد وبهدلة وقريع وبنو فقيم بن منقر [18]. وتدلّ تولية النبيّ ﷺ قيسا على صدقات بطون مقاعس عندما وفد عليه سنة 9هـ[19] بأن سلطته كانت تمتدّ على كلّ هذه المجموعات القويّة. كان قيس وقومه أكثر ارتباطا بمناطق تخوم العراق وشرق الجزيرة العربيّة لكن رغم ذلك فقد خيّروا الدّخول في طاعة الدّولة النبوّية التي تمكّنت من توحيد بلاد العرب تدريجيّا وتكوين شبكة مكثّفة من العلاقات مع زعماء القبائل البدوية[20]. **فماهي دوافع تحالفه مع المسلمين؟**

2. دوافع تحالف قيس بن عاصم مع دولة المدينة وحظوته السياسية زمن النبي ﷺ

لئن تأخّر إسلام قيس ودخوله هو وقومه في طاعة دولة المدينة، فقد خصّه النبي بحظوة استثنائيّة لم ينلها غير عدد قليل من سادة البدو. وترتبطّ مبادرة "**سيد أهل الوبر**" بالتّحالف مع الدولة النبويّة إلى جملة من التحوّلات التي طرأت عليه هو وقومه.

1.2. أوضاع عشيرة بني سعد عشيّة ظهور الإسلام ودوافع التحالف مع دولة المدينة

احتدم الصّراع بين المجموعات القبليّة في منطقة التّخوم العراقية التي توطن فيها بنو سعد قوم قيس بن عاصم قبيل ظهور الإسلام. وقد تعددت الوقائع والحروب التي خاضتها هذه العشيرة بقيادة ابن عاصم خصوصا ضدّ بني بكر بن وائل[21] الذّين كانوا خصوما قدامى لتميم بسبب النّزاع حول مناطق الرّعي في أطراف الجزيرة العربيّة وفي تخوم العراق[22]. وقد حفظ التّقليد التّاريخي والأدبي المتأخّران إشارات معبّرة حول مساهمة قيس بن عاصم في هذه الحروب[23]. ونظرا لعدم استقرار الأوضاع في منطقة تخوم العراق، دفعت عشيرة بني سعد فيما يبدو إلى التوجّه نحو منطقة اليمامة التي باتت واقعة تحت تأثير قبيلة تميم [24] لكنّ الروايات لا تمكّننا من تحديد زمن هذا الانتقال من جنوب العراق نحو شرق الجزيرة فإنّ تعدّد الوقائع بينهم وبين بطون بكر بن وائل يوحي بأنهم كانوا متواجدين في موطنهم القديم حتى ظهور الإسلام[25].

وفضلا عن ذلك، يرتبط انتقال قيس وقومه من ديارهم القديمة وعودتهم نحو شرق بلاد العرب باهتزاز العلاقات السياسية –الاقتصادية لقبيلة تميم عامّة مع الفرس إذ حلّت القطيعة بين الطرفين انطلاقا من هذه المرحلة وهو ما يتضح من خلال يوم الصفقة [26] الذي أنهى الوساطة التي كانت تؤديها عشائر تميم في إجازة بعض قوافل الفرس[27]. وفي هذا الصّدد، يعتبر منتغمري واط [28] أن القطيعة مع الفرس كانت وراء توجّه سادة تميم إلى التّحالف مع المسلمين. ولعلّ عشيرة بني سعد كانت معنيّة أكثر من غيرها بالصّراع مع الفرس إذ شاركت بقيادة سيدها قيس في أبرز الوقائع ضدّهم كيوم الصفقة ويوم الكلاب ممّا من شأنه أن يدفعها على غرار مجموعات قبليّة أخرى قطعت علاقاتها مع الفرس، إلى التّحالف مع دولة المدينة التّي أصبحت تشكّل أهمّ قوّة عسكريّة في بلاد العرب.

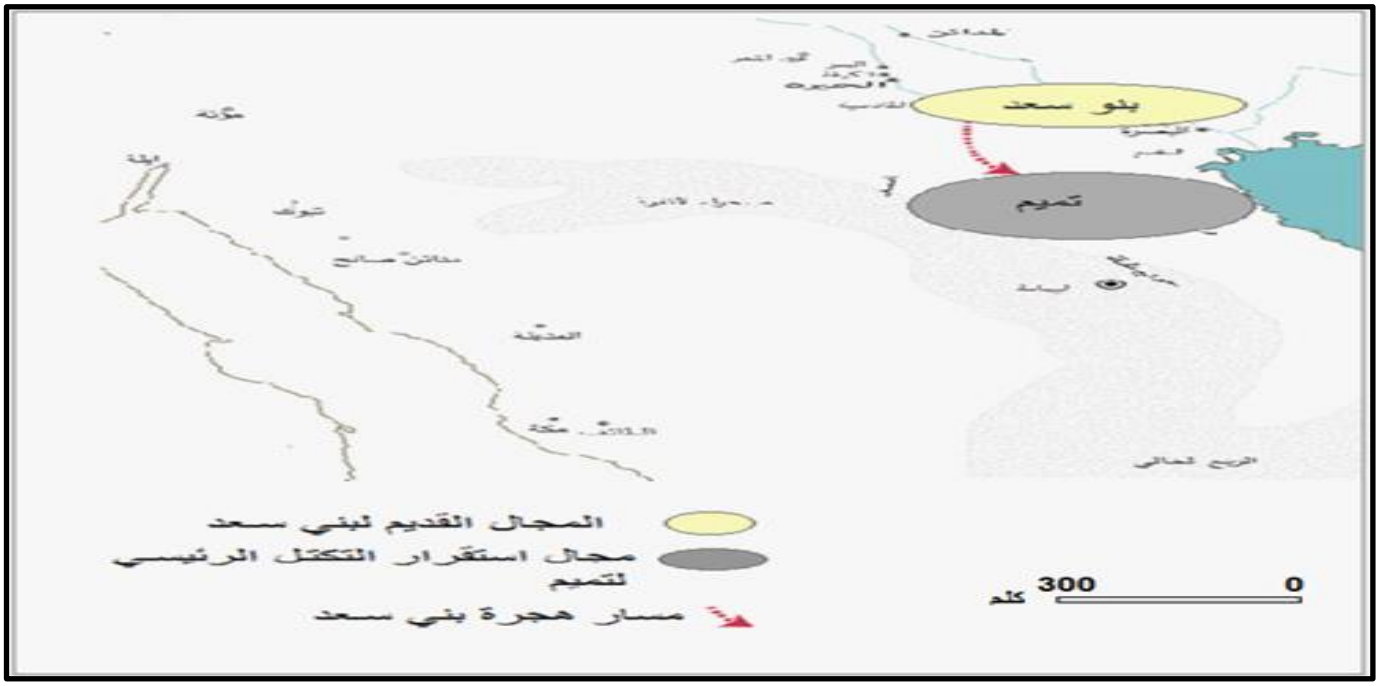

مسار هجرة عشيرة بني سعد عشية ظهور الإسلام

تتنزّل خيارات قيس في إطار مساعي سياسيّة هدفها الاصطفاف إلى جانب القوّة الإسلاميّة الناشئة التّي طرحت بديلا عن التّحالف مع الفرس وتجنّب الدّخول في مواجهة معها خصوصا في ظلّ الافتقار إلى سند قبليّ قويّ باعتبار الانقسام الذي خيّم على عشائر تميم. لذلك، أصبح سادة بني سعد يعوّلون على القوى المنظمة وطوّروا معها علاقات هامّة سواء تعلّق الأمر بالفرس أو بوكلائهم المناذرة في الحيرة. وبالتالي، فقد ترسّخت لديهم عقليّة الخضوع لسلطة منظّمة وهو ما دفع زعيمهم قيسا إلى المراهنة على سلطة المدينة أكثر من المراهنة على الرّوابط والتّحالفات التي كانت تربط قومه ببقيّة عشائر تميم.

من جهة أخرى يبدو أن إيثار قيس التّحالف مع الدّولة النّبوية يرتبط إلى حدّ ما بتدهور الأوضاع الاقتصاديّة للعشيرة بعد أن فقدت نشاطها الأساسيّ المتعلّق بالتّجارة بين العراق والجزيرة العربية التي أربكها انبثاق سلطة قوية في يثرب وقد انضاف ذلك إلى صعوبات أخرى مرتبطة بفقدان بني سعد مراعيهم الخصبة بعد تركهم تخوم العراق كما ذكرنا آنفا. ويبدو أن الرغبة في الحصول على الغنائم شكّلت دافعا أساسيّا من دوافع مبادرة ابن عاصم بتمتين العلاقة مع دولة المدينة خصوصا في ظل تدهور الأوضاع الاقتصاديّة لعشيرته. وقد حصل بالفعل على بعض العطايا أثناء قدومه في وفد تميم[29]وهو ما دفعه إلى التمسّك بالتّحالف مع دولة النبيّ ﷺ.

يتّضح من خلال ما تقدّم بأن التّحالف مع الدّولة النبويّة أصبح الخيار الوحيد بالنّسبة لقيس وقومه بعدما فقدوا مكانتهم وأراضيهم في أطراف العراق لذلك فإنهم سارعوا للانخراط في المشروع الإسلاميّ رغم أن منطقة انتجاعهم الجديدة الواقعة في شرق الجزيرة العربية لم تصبح بعد تابعة لمجال نفوذ المسلمين. ويتنّزل ذلك في إطار تشكل حزام من سادة القبائل حول الدولة النبوية وذلك لأن رؤساء المجموعات العربية المتحالفين معها نالوا جملة من الامتيازات السياسيّة والماديّة فضلا عن توصلهم عبر هذا التحالف إلى النأي بأقوامهم عن مواجهة السّلطة الإسلامية الناشئة التي طوّرت آلة قتالية مرموقة [30].

ومن ثمّة فإنه على العكس من الصّورة الرّتيبة التي رسخها المأثور التاريخي الإسلاميّ عن سادة البدو فإن مواقف بعضهم الإسلام تميّزت بالحذر والتريّث وهو ما يعني أنهم أدركوا أهميّة المشروع الإسلامي وقدرته على توحيد العرب سواء عن طريق التّحالفات أو باستعمال القوّة. وقد مكّن ذلك النبيّ ﷺ من ربط علاقات قويّة مع بعض سادة البدو[31] خدمت إلى حدّ بعيد دولة الإسلام لاحقا أثناء فترة الخلفاء.

رغم ذلك فإنه لا يمكن تفسير العلاقة بين قيس بن عاصم ودولة النبيّ ﷺ على أساس سياسيّ واقتصاديّ فحسب إذ توحي إشارات كثيرة في المصادر بمدى تحمّس هذا الزعيم القبليّ وأبرز أشراف عشيرة بني سعد للإسلام[32]. ويفسّر هذا التحمّس ربّما بقدم معرفته هو وقومه بالعقائد التوحيديّة باعتبار احتكاكهم منذ زمن بالمسيحية التي كانت منتشرة على نطاق واسع بين القبائل العربية في تخوم العراق وشرق الجزيرة العربية. وقد مهّد التأثر بالمسيحيّة لدخول بني سعد وزعيمهم الإسلام الذي طرح بالنسبة إليهم ولغيرهم من عرب التّخوم

العراقيّة والسّورية تواصلا مع إرثهم الدينيّ القديم عكس بدو الحجاز ونجد الذين كانوا يعتبرون المسيحيّة مرتبطة بالأجنبي حضاريّا وثقافيّا وحتى سياسيّا[33].

مثّل الدّخول في طاعة دولة المدينة تحوّلا هامّا بالنسبة إلى قيس بن عاصم وقومه نظرا للحظوة التي تمتع بها لدى النبي والتي أهّلته للاضطلاع بدور هامّ خلال مرحلة الإسلام المبكّر.

2.2. " سيّد أهل الوبر": الحظوة السياسيّة لقيس بن عاصم في عهد النبيّ ﷺ

تشير المصادر[34] إلى أن قيسا بن عاصم كان من بين سادة تميم الذّين وفدوا على النبي في سنة 9هـ وقد حضر باعتباره ممثلا لبني سعد. لكن الرّوايات تعهد إلى الأحنف بن قيس[35] الذي خلف قيسا على رأس بني سعد، دورا أساسيّا في إسلام عشيرته وقبيلة تميم عامّة. ولئن لا تخلو هذه الرّواية من إسقاط للدّور البارز الذي أدّاه الأحنف لاحقا[36] على هذه المرحلة المبكّرة، فإنه لا يمكن استبعاد مساهمة الشخصيّة الثّانية صلب عشيرة بني سعد في إسلام قومها خصوصا وأنّها تميّزت هي الأخرى بميلها إلى الطّاعة وتحمّسها للإسلام[37]. ويرجّح أن الأحنف تمكّن من توجيه قومه إلى الإسلام باعتبار حركيّته إذ أن السادة النشيطين الأصغر سناً تمكّنوا في بعض الأحيان من انتزاع الشّرف والنّفوذ بفضل كثرة حلفائهم مما يجعلهم الزّعماء الفعليين رغم وجود سيّد مؤسسي للعشيرة أو القبيلة [38]. وقد التقت جهوده في هذا المستوى مع توجهات قيس بن عاصم الذي كان ممثّل بني سعد ومطاعا فيهم. لذلك ونظرا لأن قيسا كان صاحب السّيادة "**الشرعية**" [39] على عشيرته، فقد عهدت إليه صدقات مجموعات البطون ومقاعس [40] فيما لم ينل الأحنف أي تكليف أو حظوة من طرف المسلمين. ويعكس ذلك توجه دولة المدينة إلى الاعتماد على السادة الذين يحظون بالشرعية السياسية ورغبتها في تحفيزهم لدخول الإسلام لأنهم كانوا يمثلون وسطاء مؤثرين بينها وبين الجمهور القبلي [41] وباعتبار أنه لا يمكن التعويل على تحمس أشراف الدرجة الثانية أو السّادة الصّاعدين الذّين لم يكونوا قادرين على تمثيل عشائرهم وتحديد علاقاتها مع العالم الخارجي على الرّغم من النّفوذ الواسع الذي تمتّعوا به.

في المقابل، وقع تعيين شخصية قبليّة تضاهي قيسا في الشرف والنفوذ على صدقات عشائر الرباب والأبناء وعوف هي شخصية الزّبرقان بن بدر [42]. ويعتبر هذا الأخير من أبرز أشراف تميم في فترة ما قبل الإسلام[43]. لذلك، يبدو أن الهدف من تعيينه هو إحداث شيء من التوازن السياسي والاستفادة من تنافس هذين الشريفين على الزعامة القبلية لكسب تأييد تميم وإبقائها على الطاعة لدولة المدينة. وقد تجلّى أثر العلاقة السيّئة التّي كانت تربط قيسا بالزّبرقان لاحقا خلال حركة الردّة[44]وقد خدمت المسلمين إلى حدّ بعيد.

يظهر أن النبي خصّ قيسا بن عاصم بحظوة استثنائية إذ تشير المصادر[45] إلى أنه لقبه بـ "**سيّد أهل الوبر**". وفي الحقيقة، لا يبدو أن هذا اللّقب حمل أيّ مضمون سياسيّ باعتبار أن قيسا لم ينل على إثره امتيازات ماديّة أو سياسية. ولا نستبعد حينئذ أن يكون لقب "**سيد أهل الوبر**" من صنع الرواة والإخباريين المتأخّرين الذّين حملوا انجذابا خاصا لهذه الشّخصيّة وغيرها من سادة القبائل العربيّة. ومهما يكن من اختلاق التراث التاريخيّ في هذا الصّدد، فإن مثل هذه الإشارات تنطوي على ترسّبات وعي قديم بالمكانة الخاصة التي

نالتها هذه الشخصية المؤثّرة. ويمكن أن يظهر مثل هذا اللّقب أنّ قيسا من بين الأشراف الذّين تجاوزت علاقتهم بدولة المدينة التّحالف السياسيّ بالمعنى المعهود وأنّه من الذّين دخلوا فعلا في الإسلام وانخرطوا تماما في مشروعه كما يذهب إلى ذلك منتغمري واط[46]. ويعكس هذا المثال مدى أهميّة واتّساع شبكة العلاقات التي تمكّن المسلمون من نسجها مع القبائل وأشرافها باعتبار أن مجال تأثيرهم الدبلوماسي والمعنويّ كان أوسع بكثير من مجال نفوذهم الذي لم يكن يتجاوز فعليّا منطقة الحجاز. وقد أظهرت السّلطة الإسلاميّة الصّاعدة قدرتها على الحفاظ على هذه الرّوابط بمنح الامتيازات خصوصا للأشراف الذين ظهر ولاؤهم لها. ويعتبر ابن عاصم مثالا بارزا عن هذا الصّنف من الأشراف إذ تميّز بميله إلى طاعة السلطة وموادعتها وهو ما تجلّى من خلال أدائه بشكل منتظم للصدقات الذيّ شكّلت مقوّما أساسيّا من مقوّمات الارتباط بدولة الإسلام[47] بشكل منتظم حتى بعد وفاة النبيّ ﷺ. ويفسّر ترسّخ عقليّة الطّاعة لدى قيس بكونه من بين سادة البدو الذين احتكوا منذ زمن بالسلطة المنظّمة وعرفوها عن كثب أثناء تواجدهم في العراق الواقع تحت نفوذ الفرس ووكلائهم المناذرة. كما أن هؤلاء السّادة دأبوا على دفع الضّرائب لعمّال الفرس ممّا سهّل تقبّلهم لفكرة أداء الصّدقات للمسلمين عكس المجموعات القبليّة الموغلة في البداوة والبعيدة عن الهياكل الإمبراطوريّة كبدو نجد مثلا[48].

ظلّت علاقة قيس بدولة المدينة مستقرّة خلال الفترة الممتدة بين سنتي 9 هـ و11 هـ وهو ما يعكس تمسّكه بالوقوف إلى جانب هذه السّلطة الجديدة التّي حصل منها على امتيازات هامّة ونالت منها عشيرته تفوّقا على سائر المجموعات التميميّة الأخرى. وقد ظلّ ابن عاصم على ولائه للمسلمين بعد وفاة النبيّ ﷺ رغم ارتداد قسم كبير من قبيلة تميم. **فماهي أسباب بقائه على الولاء لدولة المدينة؟ وأيّ مساهمة له كسيد قبيلة في المشروع الإسلامي؟**

3. ولاء قيس لدولة الخلافة ومشاركة هامّة في الفتح وفي التمصير

1.3. الامتناع عن الانخراط في الردّة والتمسّك بالولاء لدولة الخلافة

عند وفاة النبي، تجلت الردة كظاهرة شبه عامة بين القبائل [49]. وشملت هذه الانتفاضة قبيلة تميم حيث انخرط بعض الأشراف في الرّدة[50] فيما بقيت عناصر أخرى على الولاء لسلطة المدينة [51]. وبالتّالي فقد خيّم الانقسام والتردّد على مواقف أشراف تميم من التحرّك ضدّ المسلمين[52]. تقدّم المصادر إشارات متناقضة إلى حدّ ما بخصوص موقف قيس بن عاصم من الأحداث إذ تذكر تردّده في أداء الصدقات إلى المسلمين دون أن ينخرط بشكل صريح في الردّة [53]. لكن رغم اضطراب هذه الرّوايات وتضاربها، فهي توحي بأن تردّده ارتبط إلى حدّ ما بنزاعه مع الزّبرقان بن بدر الذي كان يعتبر أبرز منافسيه [54]. وعموما، يبدو أن أغلب أشراف تميم لم يكونوا مساندين للعصيان ضدّ سلطة المدينة [55]وقد أدّى السّادة البارزون صدقات عشائرهم في نهاية المطاف [56]. يتنزّل بقاء قيس على الطّاعة لسلطة المدينة إذن في إطار الخيار الذي اتّخذه أغلب أشراف تميم من الرّدّة خصوصا وأن ارتداد بعض الفروع من هذه القبيلة لم يقع بمبادرة من سادتها بل تمّ على يد سجاح التي تنبّأت

في أخوالها بني تغلب [57]واستطاعت أن تجرّ وراءها بعض الأشراف البارزين مثل مالك بن نويرة [58]. أمّا بخصوص من تبعها من الأشراف، فيبدو أن الأمر وقع تخوّفا و"**موادعة** "[59] ولم يكن نابعا من رغبة في العصيان. ومن ثمّة فإنه لا يمكن فصل موقف قيس عن توجّه بقية أشراف تميم الذّين حافظوا على علاقات مستقرّة نسبيّا مع سلطة المدينة.

لئن يفسّر تردّد أغلب أشراف تميم في الانضمام إلى المرتدين بتخوفهم من ردّ دولة المدينة التي برهنت على قدرتها على إزالة كل تمرّد بالقوة [60]، فإن إيثار قيس البقاء على الطاعة لا يخلو على العكس من ذلك من تحمّس شخصي للإسلام فعشيرته القاطنة في شرق الجزيرة كانت بمنأى عن تهديدات المسلمين حتّى نهاية خلافة أبي بكر ممّا يعني أن خياره لم يكن نابعا من تخوّفه على قومه من جيوش المدينة. وقد حدّدت خيارات قيس بن عاصم موقف عشيرته وذلك لما تمتّعت به هذه الشخصية من نفوذ. فقد ظلت متماسكة ومنسجمة وراء سيّدها الذي استطاع فرض خياراته على أفرادها بينما فقد سادة آخرون قدرتهم على تأطير عشائرهم[61]. وممّا يدل على تمسكه بالولاء لدولة المدينة انخراطه في محاربة مرتدّي البحرين وذلك من خلال الانضمام إلى جيش العلاء بن الحضرمي[62] الذي سيّره أبو بكر في 11هـ.

2.3. دور قيس بن عاصم وقومه في الفتح وفي تمصير البصرة

2.3. 1. مشاركته في فتح العراق

لا تتوفّر سوى إشارات قليلة في المصادر حول قيس بن عاصم وقومه بعد الرّدة وصولا إلى مرحلة القادسيّة. وعلى الرغم من أنّ عشيرة بني سعد لم تشارك في الرّدّة، فإنه لم يقع الاعتماد عليها في الفتوح الأولى للعراق إذ لا ترد سوى إشارات قليلة في المصادر توحي بمساهمة أبنائها بمبادرات فردية [63] تقريبا في معارك المسلمين في العراق سواء خلال مرحلة الأيّام أو ما بعدها. ويردّ ذلك ربّما إلى ضعف حضور العناصر التميميّة في الحملات الأولى على هذه المنطقة[64] .

فسحت الاستعدادات لمعركة القادسيّة المجال لتوسيع مشاركة القبائل العربيّة في فتوحات العراق. وقد شهدت هذه المرحلة انضمام بعض مقاتلة عشيرة بني سعد إلى المسلمين وذلك أثناء مسيرة سعد بن أبي وقاص إلى القادسيّة التّي جمع خلالها خليطا من أبناء القبائل [65]. لكن بعض الإشارات الواردة في المصادر[66] توحي بضعف عدد مقاتلة بني سعد خلال معركة القادسية رغم أن هذه العشيرة تعدّ الأوفر عددا ضمن تجمع تميم وبالتالي معنيّة أكثر من غيرها بالتّعبئة للحروب ويردّ ذلك إلى كون ديارهم كانت بعيدة نسبيا عن خطّ مسير سعد بن أبي وقاص إلى العراق ممّا أخّر نسبيا التحاقهم بهذه المنطقة.

لم يكن مقاتلة بني سعد المنضمون إلى جيش سعد بن أبي وقاص تحت قيادة قيس بن عاصم إذ عهدت القيادة إلى شخصية أخرى جمعت بين الشرف القبلي والشرف الإسلامي وهي زهرة بن عبد الله بن قتادة الذي كان ارتباطه بالإسلام قويّا[67] أمّا ابن عاصم فقد ظلّ فيما يبدو على رأس التكتّل الرئيسي للعشيرة. لكن رغم ضعف مشاركة عشيرة بني سعد ككل في معارك فتح العراق فإن توليّ أبنائها مراكز قيادية في جيوش المسلمين

الروايات[68] من شأنه أن يوحي بأن استقرار علاقتها بدولة المدينة وعدم انخراطها في الردّة سابقا قد خدمها إلى حدّ بعيد إذ منحها أولوية على قوى عشائرية أخرى كانت مشاركة مقاتليها في المعارك أكثر تأثيرا وهي أساسا عشائر من تميم ارتدّ زعماؤها. ويتّضح من ثمّة بأنّ عمق ولاء أشراف القبائل ظلّ العامل المحدّد لعلاقة السلطة بالمجموعات العربيّة حتّى بعد الدخول في مشروع الفتح وشكّل بذلك قاعدة التوازنات القبليّة خصوصا في أمصار العراق.

دعم فتح العراق انخراط قيس وقومه في المشروع الإسلامي. فقد أعاد التوسع في المنطقة ترتيب التحالفات القديمة مع المجموعات القبليّة خصوصا القاطنة في شرق الجزيرة وتخوم العراق إذ مكّنها من الدّخول ضمن دائرة القوى المعنيّة مباشرة بالمشروع الإسلامي وفسح أمامها المجال للحصول على الغنائم والامتيازات. ولا ريب أن التحاق هذه المجموعات القبلية بجيوش الفتح أثّر بشكل كبير على مصير العرب في العراق إذ كانت هذه المجموعات على معرفة جيّدة بالمنطقة كما أن تعوّدهم منذ أزمنة بعيدة على الإغارة على التجمّعات القرويّة طرح تواصلا بين معارك الفتح وتقاليدهم القديمة في الغزو وهو أمر خدم إلى حدّ بعيد الفاتحين المسلمين أثناء مناوشة الفرس. مثل توجّه المسلمين لفتح العراق نقطة تحوّل جذري في علاقة قيس بدولة الخلافة. فلم تعد هذه العلاقة قائمة على التحالف أو على الطاعة بل على الانخراط في مشروع مشترك له صبغة عربية. ويعكس ذلك مدى تأثير عامل المجال في تشكل هوية دولة الإسلام المبكر إذ أن حيازتها على اعتراف القبائل العربية وتوصلها إلى تطويع قدراتها القتاليّة لم يرتبط باكتسابها القدرة العسكريّة والتنظيميّة فحسب بل وأيضا بتكشّف شخصيّتها الترابيّة التّي أدمجت الفضاء القديم للقبيلة أو العشيرة ضمن فضاء أوسع خاضع لسلطة منظّمة. منح الفتح والاستيطان في العراق لبني سعد وغيرهم من العرب شرعية جديدة انضافت إلى أسبقيّتهم في سكنى المنطقة. وقد أفضت هذه الشرعية الترابيّة القديمة/الجديدة إلى تفوق تميم عامّة وبني سعد خاصّة على بقية قاطني البصرة.

3. 2. 2. استقرار قيس وعشيرته في البصرة

يقتضي تتبّع دور قيس بن عاصم وقومه في تمصير البصرة، العودة إلى الظروف التي حفّت بهذه العملية والتركيبة الاجتماعيّة لقاطنيها الأوائل. فلئن أراد التقليد الإسلامي تأثرا بجهود الإخباريّين والروّاة المتأخرين، إعطاء عملية تأسيس البصرة نفس الأهمية التي حظيت بها الكوفة، فإن رواية سيف التي يمكن اعتبارها الأكثر ترابطا واتّساقا تعرضها بوصفها امتداد شاحبا لما قامت به الجماعة الرئيسية مع سعد بن أبي وقاص [69]. وعلى الرّغم من الاضطرابات التي تنطوي عليها رواية سيف[70]، فهي تستعيد بشكل جلي فكرة الارتباط بين استقرار المسلمين في الكوفة وتوجه جماعة عتبة بن غزوان لاختيار موضع البصرة[71].

إذن وفيما يتعدى التّركيب الرّوائي المنمّق الذي قدمته المصادر، يبدو أن إنشاء البصرة لم يحظ فعلا بأولويّة كبيرة بالنسبة لسادة العراق الجدد. لقد نشأت البصرة بصفة عرضيّة تقريبا [72] لذلك بدت كنقطة تركّز قروية لعشائر التخوم والسكان القدامى للمناطق المحيطة وتغذت من هجرة قبائل شرق الجزيرة العربية [73]. لقد

حملت هذه الحاضرة هوية الوجود العربي القديم في العراق، ذاك الذي أضفى على العرب هويّة جديدة مكتسبة من الانتماء إلى مجال خارج بلادهم التاريخيّة ومن ملامسة أطراف الإمبراطوريّات المنظمة. **فهل مكّن الانتماء القديم إلى تخوم العراق الجنوبية بني سعد من الاضطلاع بدور أساسي في تمصير البصرة؟ وهل منحهم ذلك تفوقا على سائر المجموعات القبلية؟**

لا تتوفّر أي إشارات في المصادر توحي بأن عشيرة قيس بن عاصم لعبت دورا أكثر أهمية من بقية المجموعات القبلية في تمصير البصرة. غير أنها استمدت من توطنها القديم في المنطقة تفوقا معنويّا باعتبار أن مجال البصرة تماهى إلى حدّ ما مع "**ديارها** " أي الفضاء الترابي الذي كان واقعا تحت سيطرتها قبل الفتح، جمع بنو سعد بين الهويّة البدويّة وتقاليد اتّصال قديمة بالهياكل القرويّة المتناثرة في جنوب العراق. والواقع أن البصرة الأولى طرحت بدورها صيغة تواصل بين النموذجين ذلك أنها أنشأت في الأصل فوق حزام من القرى أو الدّساكر كما تؤكد على ذلك المصادر[74]. وبذلك، فإن هذه الحاضرة وفّرت لعرب المنطقة عامة ولبني سعد على وجه التّحديد صيغة التقاء بين تقاليدهم البدويّة وارتباطهم القديم بعالم المستقرّين.

حافظت عشيرة قيس على ارتباطها بالبادية رغم أنها كانت في مقدمة المستقرين في هذه الحاضرة إذ تشير الروايات إلى أن بعض سادتها –ومن بينهم قيس بن عاصم – دأبوا على التنقل أحيانا إلى البوادي القريبة من البصرة حتى لا يقطعوا مع حياتهم القديمة[75]. أمّا فيما يخص قيسا على وجه التّحديد، فإن تردّده على البادية يفسر بقرب الديار القديمة لعشيرته من البصرة[76]. وقد مكّنه ذلك من الحفاظ على هويّته البدويّة رغم التوطّن مع قومه في مصر العراق الثاني. ويعكس انشداد قيس بن عاصم وأشراف آخرين إلى حياة البداوة صعوبة تكيّف المجموعات البدويّة مع واقع تحوّلها من نمط العيش التّرحالي القائم على الانتجاع والتنقل في فضاء واسع إلى السّكن في مصر منظّم الغاية الرئيسية من إنشائه تجميع القبائل في فضاء محدّد وتحويلها إلى مجتمع منسجم.

لكن على وجه العموم، كان بنو سعد منسجمين مع الإطار الجديد استنادا إلى شعور قوي بأنّهم استعادوا ديارهم القديمة وموطنهم. فباستثناء الزعماء المنشديّن إلى الحياة القديمة وهم قلّة، اندمج بقية أفراد العشيرة في حياة الاستقرار وأبدوا انضباطا كبيرا للسلطة للإسلاميّة التي تمكّنت من التحكّم المجموعات العربيّة في الأمصار. على مستوى التوازنات القبليّة والعشائرية داخل البصرة، كان لبني سعد حظوة استثنائيّة ومكانة مرموقة حيث تزعمت هذه العشيرة فيما يبدو بقية المجموعات القبلية التميمية خصوصا وأنها كانت أوفرها عددا فضلا على أنّ توطنها قديما في المنطقة منحها تفوّقا على سائر المجموعات الأخرى. ورغم أن قدم التوطّن لم يشكّل أساس التراتبيّة الاجتماعية في البصرة، فإنه منح القاطنين القدامى زعامة معنويّة على المدينة باعتبار أن السّلطة الإسلاميّة عوّلت عليهم بشكل رئيسيّ في البداية. لئن ظلّت عشيرة بني سعد تحت زعامة قيس بعد الاستقرار في البصرة فإن الوضع الجديد المرتبط بالانتقال من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار أدى إلى تراجع دوره السياسيّ تدريجيّا وسمح لجيل جديد من السّادة النّشطين على غرار الأحنف بن قيس بأخذ زمام المبادرة.

ويبدو أن انشداد قيس إلى حياته القديمة[77] وتركه البصرة من وقت لآخر للعودة إلى البادية [78] فسح المجال للأحنف بن قيس لتزعم العشيرة وتدعيم نفوذه الفعلي والمعنويّ عليها وعلى عدّة عشائر تميمية أخرى. وممّا يدلّ على فقدان قيس نفوذه، حضور الأحنف ممثلا عن بني سعد – وربّما عن كامل تميم البصرة–ضمن الوفد الذي أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب سنة 17 للهجرة[79]. لا يظهر أن قيسا اضطلع بدور هامّ في البصرة حتى وفاته في سنة 20 هجري. ويردّ ذلك فيما يبدو إلى تقدمه في السن من ناحية[80] وإلى عدم استقراره في المصر بصفة دائمة كما ذكرنا. ونظرا لانتزاع الأحنف النفوذ الفعليّ على بني سعد، لم تؤثر وفاة قيس بن عاصم تأثيرا كبيرا على عشيرته التي زادت مكانتها بشكل ملحوظ في ظلّ سيادة خلفه التي تواصلت إلى حدود العهد المرواني.

خاتمة

يمكن القول على أساس ما تقدّم بأنّ عوامل عديدة أثّرت في أدوار سادة القبائل البدويّة خلال فترة الإسلام المبكّر وحدّدت طبيعة علاقتهم بالمشروع الإسلامي. ولا تتعلّق هذه العوامل بمدى قدرة السّلطة الناشئة على عقد التحالفات وتكوين شبكة علاقات مع هذه الفئة المؤثّرة فحسب بل وأيضا بما عرفته بعض المجموعات العربيّة من تحوّلات على مستوى توزّعها المجالي وأوضاعها الاقتصاديّة مما دفع سادتها إلى البحث عن حليف قوي من خلال الانخراط في طاعة دولة المدينة. وقد كانت تلك حال قيس بن عاصم وقومه بعد قطيعتهم مع الفرس وفقدانهم أراضيهم القديمة الواقعة في تخوم العراق.

وقد مكّننا تتبع الخيارات السياسيّة لهذا الزعيم القبلي من تبيين الحسّ السياسي الذي تميز به بعض سادة البدو إذ أن دعمهم للمسلمين تنزّل في إطار مساعيهم لحماية أقوامهم والحفاظ على مكانتهم في ظل السياق الجديد المنبثق عن بروز السّلطة الإسلامية. كما مكنتنا دراسة مسيرة ابن عاصم من إبراز مدى تحمّس بعض رؤساء البدو إلى الدّين الجديد، تأثرا ربّما بعقائدهم القديمة القريبة من حيث طبيعتها ومتونها من الإسلام وخاصة المسيحية التي كانت منتشرة في القبائل العربية القاطنة في العراق. وتتعارض جملة هذه العناصر المذكورة المرتبطة بالحسّ السياسي لرؤساء البدو أو تعلقهم بالعقيدة الجديدة مع الصورة التي أرساها التقليد الإسلامي عن البدو الذين "**أسلموا ولم يؤمنوا**" والذين تميزت مواقفهم بعدم الاستقرار والاضطراب وهو ما لا يمكن تبيينه إلا من خلال دراسات بيوغرافيّة دقيقة حول فئة الأشراف تمكن من اختراق ترسبات الرواية الرّسمية الإسلامية التي حملت استنقاصا كبيرا للبدو.

من جهة أخرى، تظهر دراسة مساهمة قيس بن عاصم وقومه في الفتح وفي عملية التمصير مدى تعلق المجموعات العربية بديارها القديمة التي مكّن مشروع المسلمين من استعادتها وتنظيم الوجود العربي بها تنظيما جديدا يتماشى مع خصوصيات مجتمع إمبراطوري متغلّب. لكن لم يكن من اليسير على قيس أن يتكيف مع الإطار الجديد مما حدا به إلى الخروج من البصرة من وقت إلى آخر والعودة إلى البادية حيث ديار بني سعد قبل الإسلام. ويعكس ذلك صيرورة الالتحام الطويلة بين الظاهرة البدوية العربية في العراق من ناحية والسكن

المنظم في الأمصار من ناحية أخرى وهي جدلية أثرت في الأوضاع السياسية والاجتماعية لهذا الإقليم المركزي في الإمبراطورية الناشئة. وفي المحصّلة فإنّ هذا العمل من شأنه أن يدفعنا إلى الإقرار بما تكتسيه الدراسات البيوغرافية عامّة وتلك المركزة على فئة أشراف القبائل التي تعدّ من أكثر الفئات الاجتماعية تأثيرا في الإسلام المبكر خاصّة من أهمية بالغة باعتبار أنها توفر زاوية نظر جديدة ودقيقة للأحداث والوقائع وبالتالي مدخلا لمقاربات من نوع جديد لتاريخ الإسلام المبكّر.

الهوامش:

1- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، **أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكّار ورياض زركلي، ج7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1996، ص263-264؛ ابن سعد، محمد بن منيع البصري، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: على محمد عمر، ج6، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ص161.

Meir Jacob Kister,« **Kais b.Asim** »,Encyclopédie de L'Islam 2 ,Tome V, Leiden-Brill ,1978.(p865-866).

2- ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1948، ص436-437.

عبد الجبار العبيدي،" **قبيلة تميم العربية بين الجاهلية والإسلام**"، مجلة حوليات كلية الآداب، الكويت، 1986، ص17.

3- ابن حزم، المصدر السابق، ص437.

4- خلف الأحنف بن قيس عاصما في السيادة على كامل بني سعد. أنظر: البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص 310.

5- ابن حزم، المصدر السابق، ص436.

6- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، **معجم ما استعجم من أسماء البلد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1364هـ، ص 88؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله **معجم البلدان**، ج3، دار صادر، بيروت، 1957. ص225 وج4 ص92 وج5، ص427.

7- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار المعارف، مصر،1969. ص609.

8 -Meir Jacob Kister« **Al-Hira: some notes on it's relations with Arabia** » ,in : Studies in Jahilyya and Early Islam, Londres, 1980. (pp143-169), p150-151.

9- وهو يوم بين بكر بن وائل وبني منقر بن تميم قوم قيس بن عاصم.

ابن عبد ربّه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمّد، **العقد الفريد**، تحقيق: محمّد التو نجي، ج5، ط1، دار صادر، بيروت، 2001، ص 178.

10- وهو لتميم على بني بكر. المصدر نفسه، ج5، ص166-167.

11- وهو لتميم على مذحج. المصدر نفسه، ج5، ص202-204.

12- وهو متصل بيوم الصفقة. المصدر نفسه، ح5، ص204-205.

13- المصدر نفسه، ج5، ص 166، 178، 179، 203، 204، 205.

14- المصدر نفسه، ج5، ص 166، 178، 179، 203، 204، 205؛ البلاذري، المصدر السّابق، ج7، ص265، 268، 269.

15- ابن حبيب، أبو جعفر محمّد، **المحبّر**، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، حيدر أباد الدكن، الهند، 1942، ص246؛ محمد الجوادي، الأشراف **من ظهور الإسلام إلى نهاية القرن الأوّل للهجرة**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2015، ص33؛ حياة قطاط، **العرب في الجاهلية الأخيرة والإسلام المبكر**، دار أمل للنشر والتوزيع، تونس 2006. ص246-247.

16- إبن عبد ربّه، المصدر السّابق، ج5، ص166-167. البلاذري، المصدر السّابق، ج7، ص265.

17- إبن حزم، المصدر السابق، ص436.

18- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

19- البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص 263-264؛ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص268؛ ابن هشام، أبو محمّد عبد الملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ج2، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص561

20- أنظر بهذا الخصوص: محمد الجوادي، المرجع السابق، ص121-168.

21- ابن الأثير، عز الدين بن محمّد الجزري، الكامل **في التاريخ**، ج1، دار الفكر، بيروت، 1389هـ/1978م، ص364-369؛ ابن عبد ربّه الأندلسي، المصدر السابق، ج5، ص 166، 178، 179، 203، 204، 205.

22- البكري، المصدر السابق، ص88 وص156؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص364-369؛ ابن عبد ربّه، المصدر السابق،183-190؛ محمد الجوادي، "**بكر بن وائل: امتدادها المجالي وبعض خصوصياتها الاجتماعية خلال القرن الأول للهجرة**"، أشغال الملتقى الدولي الثاني حول القبيلة –المدينة والمجال في العالم العربي الإسلامي، تونس 10-12 أفريل2003، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس. (ص 99-109)، ص104.

23- يورد البلاذري إشارة بالغة الأهمية حول عداء بني بكر لقيس وقومه. فقد أوصى قيس بنيه "**إذا دفنتموني فأخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية** " البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص 243. كما يورد ابن منظور إشارة على لسان قيس حول حروبه مع بني بكر "كنت أغاورهم في الجاهلية " أي أنه يكثر عليهم من الغارات كما يكثرون هم. ابن منظور، محمد بن مكرّم بن عليّ بن أحمد، **لسان العرب**، ج10، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ص142. وترد إشارة في نفس المعنى لدى ابن سعد في طبقاته. أنظر ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص162.

24- البكري، المصدر السابق، ص88.

25- لا تقدم المصادر تورخة دقيقة لهذه الوقائع أو "**الأيّام** " لكن يمكن الاعتماد على بعض الإشارات لتأريخها بصفة تقريبيّة. فقد شارك قيس بن عاصم في عدد كبير من هذه الوقائع وتولى قيادة قومه أثناءها كما ذكرنا آنفا. ووفقا للروايات، عاش هذا الزعيم التميمي إلى حدود 20هـ مما يعني أن أغلب هذه الوقائع سبقت الإسلام بعقد أو عقدين على أقصى تقدير.

26- ابن عبد ربه، المصدر السابق، ص 202-210؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ص368-369.

27- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، **المسالك والممالك**، طبعة دي غويه، ليدن، بريل، 1889، ص128.

28 -Watt, Watt Montgomery Watt, **Mahomet à Médine**, Payot, Paris, 1977, p167-168.

29- ابن سعد، المصدر السابق، ج1، ص253.

30- هشام جعيط، **مسيرة النبي في المدينة وانتصار الإسلام**، دار الطليعة، بيروت،2015، ص143.

31- درس محمّد الجوّادي أبعاد هذه العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين. أنظر: محمد الجوادي، المرجع السابق، ص186-188.

32- بن سعد، المصدر السابق، ج6، ص162؛ البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص263-264؛ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص268؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص561.

33- هشام جعيط، **في السيرة النبوية- 2-تاريخية الدعوة المحمدية في مكة**، دار الطليعة، بيروت، يناير2007، ص163.

34- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص 268؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص561؛ البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص263-264 وص268- 269؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص 161؛ محمد الجوادي، المرجع السابق، ص158.

35- هو الضحاك بن قيس ويكنى الأحنف وهو يعتبر من أبرز أشراف القبائل خلال فترة الإسلام المبكّر. وتجدر الإشارة إلى أنه ليس من أبناء قيس بن عاصم كما قد يوحي بذلك اسمه أي أن مكانته التي نالها ليست امتداد لنفوذ أبيه كما هو معهود بالنسبة للسادة الشبآن.

36- أنظر الترجمة المستفيضة التي يقدمها البلاذري لهذه الشخصية: البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص-310-344. وكذلك عند ابن سعد: المصدر السابق، ج9، ص 92-96.

37- تعتبر شخصية الأحنف بن قيس من أبرز الشخصيات القبلية في صدر الإسلام. وتتوفر حولها مادة مستفيضة في المصادر يظهر من خلالها الميل إلى السلم وطاعة السلطة. وقد تميّز الأحنف عن سائر سادة القبائل بتجذر الفكرة الإقليمية وقوة الشعور بالانتماء إلى البصرة حيث أصبح يقدم كل ذلك على القبيلة والعشيرة. وعموما، فإن الأحنف بن قيس يعتبر مثالا عن تطور السيادة القبلية القديمة وتداخلها مع الانتماءات الترابية الإقليمية التي غذت حركات المعارضة خصوصا ضد بني أمية ثم لاحقا إزاء بني العباس.

38- أشار هشام جعيّط إلى هذه الفكرة التي لا تخلو من وجاهة بخصوص وضعية عمر بن الخطاب والنحآم. ففي حين كان النحام السيد المؤسسي لعديّ كان عمر بن الخطاب زعيم العشيرة الفعلي باعتبار خصاله الشخصية وعدد حلفائه. هشام جعيط، تاريخية **الدعوة** ...، ص 249-250.

39- وذلك وفقا للأعراف السائدة في المجتمع العربي في ذلك الزمن والتي كانت صارمة إلى حدّ بعيد فيما يخص توليّ السيادة وقيادة العشائر والمجموعات القبليّة.

40- ا لطبري، المصدر السابق، ج3، ص 268؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص561؛ البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص263-264؛ محمد الجوادي، المرجع السابق، ص 158.

41- المرجع نفسه، ص187-188.

42- البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص353-354؛ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص268؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص562.

43- محمد الجوادي، المرجع السابق، ص158.

44- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

45- البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص263؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص561؛ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص 268؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص 161.

46- Watt, Op.Cit,pp167-168.

47- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص259،258،241؛ هشام جعيّط، **الفتنة: جدليّة الدّين والسياسة في الإسلام المبكّر**، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط4، دار الطليعة، بيروت، 2000، ص43.

48- شاركت أغلب قبائل نجد في حركة الردّة ومنها قبيلة عبس وأسد وغطفان وعامر بن صعصعة. الطّبري، التاريخ..،ج3، ص244 وص259.

49- هشام جعيط ، **الفتنة** ، ص43.

50- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص269-270 الواقدي أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي (ينسب إليه)، **كتاب الردة**، تحقيق: يحيى الجبوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990م، ص111؛ عبد الجبار العبيدي، المرجع السابق، ص47-48.

51- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص227-268؛ محمد الجوادي، المرجع السابق، ص220.

52- محمد الجوادي، المرجع السابق؛ ص220.

53- الطبري، المصدر السابق، ج3، 267-268؛ البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص264

54- البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص264؛ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص268-269.

55- محمد الجوادي، المرجع السابق..، ص222.

56- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص268-269.

57- المصدر نفسه، ج3، ص269

58- الواقدي، المصدر السابق، ص111

59- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص269-271.

60- هشام جعيّط، **الفتنة**، مرجع مذكور سابقا، ص47.

61- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص270.

62- المصدر نفسه، ج3، ص305.

63- تتمثل أساسا في مبادرة ابن المثنى الجشمي الذي انضم إلى جيش المسلمين منذ مرحلة مبكّرة ونال مكانة قياديّة في المعارك: الطبري، المصدر السابق، ج3، ص463؛ محمّد الجوادي، المرجع السابق، ص262.

64- المرجع نفسه، ص257.

65- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص484-485؛ هشام جعيط، **الكوفة: نشأة المدينة العربية الإسلامية**، دار الطليعة، بيروت، 1993، ص32-33.

66- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص484.

67- كانت له صحبة بالنبي الذي سوده على هجر. أنظر: محمد الجوادي، المرجع السابق، ص266.

68- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص 488و ص567.

69- المصدر نفسه، ج3، ص 590 وما يليها.

70- أنظر ملاحظات هشام جعيّط بخصوص رواية سيف حول تأسيس البصرة: هشام جعيط، **الكوفة**، مرجع مذكور سابقا، ص326.

71- ابن سعد، المصدر السابقم. م،ج7، ص 6؛ اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن واضح اليعقوبي، **كتاب البلدان**، النجف، د.ت. ص 235.

72- هشام جعيط، الكوفة، مرجع مذكور سابقا، ص326.

73- المرجع نفسه، ص 328

ترد إشارات مفصلة حول تركيبة الوافدين سكان البصرة الأوائل لدى: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي **الاشتقاق**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، د.ت. ص140، 228، 260؛ الطبري، المصدر السابق، ج5، ص 396، 504، 514، 517؛ صالح أحمد العلي، **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول للهجرة**، ط2، بيروت، 1969، ص 20-31

Stephen Hemsley Longrigg, « Al-Basra », Encyclopédie de l'Islam, TI , Leiden –Brill, 1991.pp(1117-1120).

74- الطبري، المصدر السابق، ج3، ص91.

75- ابن سعد، المصدر السابق، 36-37. محمد الجوادي، المرجع السابق؛ ص292.

76- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

77- المرجع نفسه، ص292.

78- ابن سعد، المصدر السابق، ج 7، 36-37.

79- الطبري، المصدر السابق، ج4، ص74-75؛ البلاذري، المصدر السابق، ج7، ص310.

80- ابن سعد، المصدر السابق، ج 7، ص37.